غربي (متمشيا مع الاتجاه الأطلسي العام). ويتركز بالخصوص في محور يشمل مجموعة من المحدبات الملتوية والمنكسرة أحياناً، وتبدأ من الشمال الشرقي بجبل واعريتْ، ثم جبل لحُمَرْ، وتيشوكت وجبل هبو....، الجبل عبارة عن طية ملتوية ومنكسرة في جهتها الغربية بفعل الحادث التكتوني شمال أطلسي، حيث بروز طبقات الترياس (الزمن الثاني)، والتي تعلوها طبقات جيرية جوراسية، عرف هذا الجبل، شأنه شأن المرتفعات الأخرى، بقايا ومخلفات التعرية الجليدية الرباعية مثل الحلبات والجرافات والأحواض هذه الأشكال موروثة عن الفترات القاسية والباردة التي عرفها الزمن الرابع المغربي.

إن الحوادث التكتونية التي عرفها هذا المرتفع انعكست على وضعه التضاريسي والطبوغرافي، حيث الأعراف والقمم الحادة، والسفوح الوعرة. يفصل هذا الجبل بين منخفضين هامين هما، منخفض المرسى من الناحية الجنوبية الشرقية، ومنخفض سكورة من الناحية الشمالية الغربية.

ونظراً لعامل الارتفاع فإنه يعرف تساقطات ثلجية طيلة فصل الشتاء، الغطاء النباتي يتميز بالتدرج : فإلى حدود 1.600 متر تنتشر غابات البلوط الأخضر، وما فوق ذلك غابات الأرز.

J. Martin [et al...], *Géographie du Maroc*, Paris 1964, p. 118; I. Zeryouhi, *Le Moyen Atlas Plissé, ressources en eau du Maroc*, Tome 3, *N.M.D.G.*, n° 231, Rabat 1977, pp. 68 et 70 ; A. El Gharbaoui, *La Grande encyclopédie du Maroc, Géographie Physique, (G.E.I)*, Italie, 1987, p. 171.

محمد أزهار

التشوكتي، بوزيان (الحاج) بن علي، من جماعة عبدونة المندرجة بربع تشوكت، أحد تقسيمات قبيلة بني سعيد الريفية. دخل السلك المخزني ابتداء من عام 1297 / 1880 (29 جمادى الأول 1297) بصفته أمين ربعي أمجاو وتشوكت، إثر انتزاع الأخيرين من قيادة محمد أقشيش السعيدي، أول قواد الحسن الأول على قبيلة بني سعيد، وإسنادهما إلى القائد محمد أمقشد المقيم آنذاك بتطوان.

وتبعاً لغياب محمد أمقشد عن أمجاو وتْشُوكْتْ أصبح الحاج بوزيان مكلفاً أيضا بالنيابة عنه في تسيير شؤون أجزاء القيادة الجديدة، علاوة على مهمة الأمانة. بتتبع المراسلات التي بين أيدينا يتبين أن التشوكتي لم يذخر أي جهد للتوصل إلى منصب القيادة، وكان عليه قبل ذلك إبعاد منافسه محمد أقشيش والقضاء على جماعة زكزاوة المعارضة له.

استغل الأمين التشْوكْتِي الحاج بوزيان في بداية الأمر الخلاف القائم بين محمد أقشيش وجماعتي أولاد الفقيه وبركانة بسبب الجباية، فقبل التجاء أهل الجماعتين إليه، وتولى الدفاع عنهما إلى أن أصدر الحسن الأول قرار فصلهما عن قيادة أقشيش (28 جمادى الأولى 1299)، وسعياً وراء نفس الغاية، تدخل أيضاً لإخراج أيت تمايت من نفوذ محمد أقشيش لتتحول إلى محمد بن عبد الصادق الريفي (10 ربيع الأول 1302). وكاد أن يصيب نفس الهدف فيما يخص ربع أولاد عبد الدايم.

استمر الحاج بوزيان التشوكتي أميناً على ربعي تشوكت وأمجاو إثر تعيين مبارك بن الطاهر الدوبلالي قائداً على الربعين، مكان محمد أمقشد (6 رمضان 1301)، ولكن الأمر لم يختلف بالنسبة إليه، إذ تابع دوره كخليفة للقائد الجديد الذي كان بالأساس قائد الإدالة بقلعية، مما أتاح الفرصة للحاج بوزيان للتمادي في خطته لإقصاء محمد أقشيش بتتبع عوراته والإخبار بها لدى السلطة المركزية. ويظهر أنه كان قد توصل إلى غايته، حيث أقام بفاس ثلاثة أشهر (شعبان، رمضان، شوال 1305) منتظراً الحصول على تعيينه الجديد، سيما إثر وفاة قائد إدالة قلعية السابق الذكر.

وعلى الرغم من اختفاء الأخبار عن تفاصيل الأحداث، إلا أننا تأكدنا بعد ذلك من توصل التشوكتي بتعيينه قائدا على قبيلة بني سعيد كلها ماعدا أيت تمايت، بينما أصبح محمد أقشيش بموازاته أمينا للقبيلة (3 ربيع الثاني 1306). وبذلك تكوّن إطار حكمه من " أمجاو وتشوكت وأزعومة وبني عبد الدائم، وهذه أرباع القبيلة، ثم جماعتي بركانة وأولاد الفقيه.

فتح الحاج بوزيان التشوكتي باب النزاع، بمجرد تسلمه مقاليد القيادة، تجاه جماعة زكزاوة الموالية لمحمد أقشيش. وقد وجد العلة فيما كانت الجماعة تدعيه من الشرف، وإصرارها على عدم أداء التكاليف المخزنية. وكانت حجة زكزاوة أنهم من ذرية سيدي عمر بن أحمد الراسي السعيدي الإدريسي، دفين تيزي عدنيت (انظر مادة تيزي عدنيت *بالمعلمة*).

صمم الحاج بوزيان التشُوكْتِي على إنكار انتماء جماعة زكزاوة للشرف الذي يدعونه، بحجة أنهم كانوا قبل قيادة محمد أقشيش داخلين في النظام الجبائي وأن القائد الأخير هو الذي أخرجهم منه. وتبرز كثير من المراسلات هذا النزاع والأخذ والرد فيه، إذ أن قائد بني سعيد وجد أمامه قاضيين زكزاويين لهما مكانتهما بالقبيلة هما : أحمد بن زرّو الزكزاوي، ومحمد أشملال الزكزاوي، تمكنا من الدفاع عن مكانة الجماعة التي ينتميان إليها بمراسلاتهما العديدة إلى الحسن الأول التي استغرقت ما بين 19 رمضان 1300 و9 ربيع الأول 1310. ورغم كل ذلك فإن التشوكتي تمكن في الأخير من إيجاد الأسباب التي جعلت السلطان يصدر الأمر بالقبض على متزعمي جماعة زكزاوة وإيداعهم سجن مراكش برفقة الأمين محمد أقشيش (9 ربيع الأول 1310).

والعجيب أن الأخبار عن الحاج بوزيان اختفت، ولم نعد إلى الاطلاع عن استمراره بمنصبه إلا بعد أربع سنوات خلت من عهد المولى عبد العزيز (13 صفر 1315)، حينما علمنا بإرسال خليفته محمد بن قدور السعيدي على رأس وفد توجه إلى فاس لتقديم "العيادة". وقد ورد اسمه أخيراً في وثيقة تعود إلى 12 ربيع الثاني 1326، أمر فيها محمد المفضل بن محمد غريط أمين الصاير بتقديم صلة نقدية

لعمر بن علي، أخي الحاج بوزيان. ويظهر منها أنه كان لايزال على قيد الحياة.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ وثائق أقشيش بطنجة ؛ زيارة ميدانية.

حسن الفكيگي

التصحر، هو تحول النطاق الصحراوي إلى مجال عدواني ينزع إلى تجاوز حدوده الطبيعية أو الدفع بخاصياته، كلا أو جزءاً، إلى التوسع على حساب المناخات المجاورة فيصيب أنظمتها البيئية عبر التجفيف وإضعاف التركيبات النباتية ومفاقمة حدة التعرية. ومن أبرز علاماته تدني إنتاجية الأراضي وانهيار المخزون المائي وما يترتب عنهما من تدهور في البنيات الاقتصادية والاجتماعية. تختلف أعراض التصحر عن مظاهر الجفاف من حيث إنها مستديمة تخلق في الأوساط التي تغزوها ظروف الاستمرار والاستفحال.

تمثل الأراضي القاحلة وشبه القاحلة أكثر من ثلث العالم، لكن كل سنة هناك مساحات إضافية تتحول إلى بوارات. يقدر هذا التدهور السنوي بالنسبة لمجموع المغرب، الجزائر، تونس وليبيا بحوالي 100.000 هكتار. ويزيد ما تفقده بلدان الساحل الإفريقي عن عشرة أضعافها.

الظاهرة مستشرية إذن على هوامش النطاق الصحراوي بالطبع، لكنها لا تستثني المناطق الأخرى التي تسجل انعكاسات زحف الجفاف، حيث تتأثر بالتصحر النسبي وغير المباشر. ففي إفريقيا الغربية مثلا تزحف الصحراء على السهوب، والسهوب على السبانا، والسبانا على الغابة المطيرة. كذلك الأمر في شمال إفريقيا بين الصحراء والمناطق شبه الجافة ثم شبه الرطبة والرطبة. لذا أصبح مفهوم التصحر يعني كل تراجع للمظاهر الأحيائية أيا كانت نسبته وكل تدهور لقواعدها الطبيعية، التربة والماء على الخصوص، وفي كل مكان من العالم.

أصبح التصحر في المغرب أمراً واقعاً ومعترفاً بخطورته، فرض إنشاء بعض الأدوات التنظيمية منها المشروع الوطني لمكافحة التصحر سنة 1986.

تقتضي معالجة الوضع معرفة الأسباب :

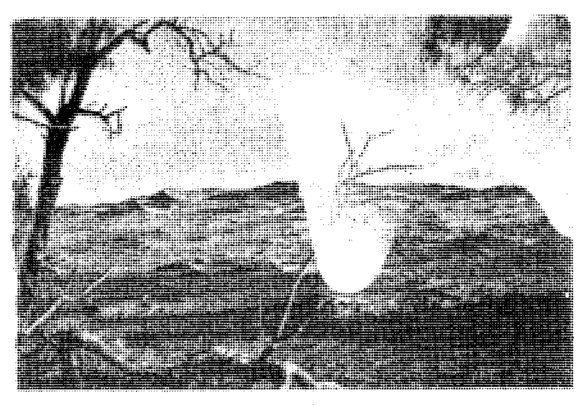
هناك من الأسباب ما هو كوني. فقد شهد المناخ الأرضي تقلبات طبيعية في الماضي، أثرت بقوة على توزيع النطاقات البيومناخية. انقسم الزمن الرابع على إثرها إلى فترات جليدية وأخرى بيجليدية همّت العروض العليا، كانت انعكاساتها عندنا الزيادة أو النقصان الواضحين في كميات التساقطات المطرية. ثم حصلت ضمنها ذبذبات أقل أهمية. لكن لا أحد يستطيع أن يثبت أن ما يحصل الآن له مرد طبيعي صرف، كما لا يمكن الجزم بأن العملية تخضع لدورات جفافية من فئة عشرين أو مائتي سنة أو أننا على عتبة عهد مناخي جديد.

المؤكد أن يد الانسان واضحة من ضمن الأسباب، حيث إن العديد من موجات التصحر قد انطلقت من مراكز حضرية مستنزفة للموارد الطبيعية، أو من مناقب للمياه جلبت مقادير لا تطاق من الماشية، أو بسبب الاجتثاث والرعي الجائرين.

وبما أن الشق الطبيعي من الأسباب مستعصي الإصلاح، فإن المتدخلين البيئيين لا يهتمون إلا بمسؤولية الإنسان في الموضوع، حيث إن الرأي السائد بحق هو أن "الظاهرة الإيكولوجية للتصحر هي مشكل بشري، يتسبب فيه البشر، ويشقى من جرائه البشر، والبشر وحدهم قادرون على تغيير مجراه".

يوجد التراب المغربي في موقع متميز، يؤهله لمراقبة مظاهر التصحر وتطورها، نظراً لامتداده الطولي من مناطق متأثرة مناخيا بالتيارات الجوية المعتدلة في الشمال إلى أراض موغلة في الصحراء جنوبا. إنها وضعية تعريض عطوبة، وإن كانت جبال الأطلس المستعرضة تخفف بصفة حاسمة من تأثير الصحراء المباشر.

بصفة موازية مع الاتصال الطبيعي بين ظروف القحولة والاعتدال، هناك الالتقاء بين الحضارة الصحراوية التي كانت تدبر شؤون بيئتها بتفاعل متناغم والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية العصرية السائدة المتعودة على الوفرة في كل شيء. يبدو أن هذا الالتقاء، هنا كما هو الشأن في كل الأوضاع المماثلة عبر العالم، حصل على شكل اصطدام مناوئ للأنظمة الطبيعية، وقد كان التصحر من أهم ردود فعله.



التصحر
منظر من منطقة تيزنيت بجنوب المغرب

تسمح الدراسة الإقليمية للتصحر بالمغرب بأخذ نماذج عن التصحر المباشر، وهو الذي يبتلي هوامش الصحراء ويتجلى في غزو الكثبان الرملية لأراضي الزرع والرعي. تهم الدرجة الثانية المناطق الجبلية، وهو عملية غير مباشرة، تمر عبر تعرية التربة وتحويل المجال المصاب إلى صحراء معدنية. وتوضح الدرجة الأخيرة أن المناطق ذات التوازن الظاهري ليست في مأمن من زحف التدهور وأن استراتيجية مكافحة التصحر إما أن تكون شمولية، واعية بتداخل الأسباب، وإما أن لا تكون.

I - غزو الرمال لهوامش الصحراء أو التصحر المباشر.

يهم المناطق التي لا تتوفر على الحصانة التي يُخولها